

أحداث عام ١٩١٥ و النزاع التركي الأرمني



مركز الدراسات الأوروبية

www.avim.org.tr

الخلفية التاريخية

إن الحرب العالمية الأولى كانت كارثة لم يسبق لها مثيل. فقد خلالها ١٦ مليون إنسان على الأقل حياته، وأصيب ٢٠ مليون آخرون. انهارت على إثرها الامبراطوريات العثمانية والنمساوية والهنغارية والروسية، كما تغيرت الحدود بشكل كبير وحدثت الهجرات البشرية على نطاق واسع.

وحتى قبل بدء الحرب العالمية الأولى، كانت الإمبراطورية العثمانية قد بدأت بالإنحدار بشكل مستمر نتيجة لتغلغل الاستعمار الأوروبي وانتشار التيارات القومية وحالات الحرب المستمرة. وأدى التوسع الروسي ورياح النزعات القومية التي هبت من الغرب إلى تفكك الولايات الغربية للإمبراطورية وإلى إنهاك لا مفر منه في بنية الدولة العثمانية المريضة، حيث هلك خلال فترة تفكك الإمبراطورية (١٨٦٤ - ١٩٢٢) ما يقارب ٤,٥ مليون من المسلمين ذوي التبعية العثمانية وكثير آخرون لم يكن بالإمكان إحصاؤهم. علاوة على ذلك، تم ابعاد حوالي ٥ ملايين من المواطنين العثمانيين عن ديار آبائهم وأجدادهم في البلقان والقوقاز واضطروا إلى الاستقرار في الأناضول واسطنبول. وعانى الأرمن كبقية الشعوب المختلفة التي عاشت ضمن الإمبراطورية من صعوبات جمة. وأضحى الأبرياء يجمعهم مصير مشترك ألا وهو الموت والنزوح عن أراضي الأجداد.



اللاجئون العثمانيون القادمون من البلقان يدخلون استانبول

ولا تزال عواقب أحداث ١٩١٥ الأليمة تشكل مصدر إزعاج بالنسبة للأتراك والأرمن على حد سواء. فالتضارب وعدم التوافق بينهما في سرد أحداث ١٩١٥ أدى إلى انحسار التعاطف المتبادل والقدرة على النقد الذاتي وصولاً لتحقيق المصالحة والتوافق. والمطلوب هنا، هو محاولة أيجاد دراسة موضوعية لكيفية حدوث هذه المأساة والكشف عن سياقها التاريخي الصحيح وذلك للتوفيق بين وجهات النظر التاريخية التركية والأرمنية ضمن إطار مبدأ تحديد الأسباب والنتائج.

واعتباراً من بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت روسيا القيصرية والدول المتحالفة معها تعمل على إضعاف وتقسيم الإمبراطورية العثمانية، فقاموا بتأييد الأنشطة الانفصالية وحركات التمرد الأرمنية. وأدى هذا الدعم إلى تشجيع المجموعات الأرمنية القومية على المزيد من التطرف والتسلح في المناطق التي يشكل المسلمون العثمانيون الأغلبية فيها. ونتيجة لذلك، انضم عدد كبير من الجماعات المسلحة الأرمنية إلى قوات الجيش الروسي الغازي بهدف خلق وطن قومي أرمني.

رداً على ذلك، أصدرت الحكومة العثمانية تعليماتها في عام ١٩١٥ بإبعاد السكان الأرمن المقيمين داخل مناطق الحرب أو في محيطها، عن طرق الإمداد وخطوط نقل الجيش الروسي الذي كان مستمراً في التقدم، ونقلهم إلى المحافظات والولايات العثمانية الجنوبية. كما تم إدراج بعض الأرمن الذين كانوا يعيشون بعيداً عن الجبهة والذين تم الإبلاغ عنهم أو من يشتبه بتورطهم في التعاون مع الجيش الروسي، ضمن تعليمات التهجير القسري أيضاً.



وحدات أرمنية تحارب إلى جانب الجيش الروسي لاحتلال مدينه فان

وعلى الرغم من كافة الخطط التي وضعتها الحكومة العثمانية للإهتمام بهم ورعايتهم، فقد عانى أغلب الأرمن كثيراً في تلك الفترة أثناء نقلهم وحمايتهم والحفاظ على سلامتهم ومدّهم بالطعام الكافي لتغذيتهم. كما أن تفاقم الأوضاع وظروف الحرب بسبب الصراع.

الداخلي ، وانتشار المجموعات المحلية الساعية للانتقام وكثرة قطاع الطرق إضافة إلى المجاعة والأوبئة والوضع العام الذي تسوده الفوضى وعدم وجود القوانين لدولة في حالة الإنهيار، أدت في مجملها إلى مأساة تفوق جميع الاحتمالات التي تم احتسابها. ولا يخفى على أحد أيضا بأن بعضا من موظفي الدولة العثمانية العصاة قد ارتكبوا جرائم ضد الأرمن. ومع ذلك، فإن الوثائق التاريخية تثبت أن الحكومة العثمانية لم تكن تهدف أو تتعمد ما حصل إنما على العكس تماما، قامت بملاحقة ومعاقبة مرتكبي الجرائم. أما بالنسبة لموظفي الدولة الذين عصوا تعليماتها حول عملية ترحيل آمنه ومنظمة، فقد تمت محاكمتهم في ديوان الحرب (المحاكم العسكرية آنذاك) ، وقد تمت إدانة المذنبين وحكم عليهم بالإعدام وتم تنفيذ الحكم فعلا عام ١٩١٦، أي قبل وقت طويل من انتهاء الحرب العالمية الأولى.

على الرغم من مأساة عام ١٩١٥ والحروب بين الجيوش التركية و الأرمنية خلال الفترة ١٩١٨-١٩٢٠، فقد استمرت العلاقات بين الشعبين دون أية مشاكل تذكر حتى عام ١٩٦٠. بيد أن ديناميكية الحرب الباردة استغلت ذاكرة الجانب الأرمني وأساه. وأجبت مشاعر التطرف لدى بعض الجماعات الأرمنية القومية، حيث أدى الأمر إلى البدء بأعمال العنف المعادية لتركيا. وإنه لمن المؤلم لجميع الأتراك أن يتذكروا بأن الإرهاب قد استخدم كأداة لشد انتباه الرأي العام العالمي ولفت الأنظار إلى المزاعم الأرمنية. فمذ العام ١٩٧٥، راح أكثر من ٣٠ دبلوماسي تركي مع عائلاتهم ضحايا للهجمات الإرهابية التي نظمتها الميليشيات الأرمنية.

وفي هذا الأثناء، كانت وجهة النظر الأرمنية و أطروحة ما يسمى بالإبادة الجماعية قد بدأت بالانتشار على نطاق واسع، وقد كانت تستخدم أحيانا ووثائق وصور مزورة استند بعضها إلى المصادر الخطية المؤيدة للفرضية الأرمنية على منهجية مشكوك فيها للغاية لشرح الأرقام والإحصاءات المتعلقة بعدد السكان. واستخدمت بعض المذكرات المشبوه لمرات عديدة لتتم الإشارة إليها من أجل التأسيس على فرضية ساعية للحصول على اعتراف بما يسمى الإبادة الجماعية. من ناحية أخرى، فإن لفت الأنظار إلى النقص الحاد والجدي في طرح ما يسمى بالإبادة الجماعية، لا يعني إنكار مشاعر الألم والأسى الكبيرة التي عاشها الأرمن وأن الكثير منهم قد فقد حياته. في الواقع، إن الأرقام ليست القضية الرئيسية في هذا الأمر، إذ أن موت الأبرياء ، بغض النظر عن العدد سواء كان كبيرا أو قليلا، يعتبر مأساة بحد ذاته. كما أن وجود حقيقة فقدان الملايين من المسلمين العثمانيين لحياتهم في الفترة نفسها - وهو موضوع تعتمد الكثير من المؤرخين الغربيين تجاهله - والإشارة إليه لا يشكل سببا للتقليل من شأن أو تجاهل مقتل العدد الكبير من الأرمن. ولكن الإصرار على ما يسمى الإبادة الجماعية باعتبارها السبيل الوحيد لوصف التجربة الأرمنية في حين يتم تجاهل الخسائر التركية ، ليست الطريقة الصحيحة لتكريم ذكرى الذين فقدوا حياتهم ، كما أنها لا تعكس السجلات التاريخية بشكل صحيح.

للا توافق في الآراء السياسية أو العلمية أو القانونية لوصف أحداث عام ١٩١٥

إن هذه المشكلة تبقى موضوعا مقترنا ب مسألة المناقشة العلمية المشروعة ، بين مؤرخين مشهود لهم بالسمعة والإعتبار من كلا الجانبين. وليس من العدل قبول وجهات النظر الأرمنية المتشددة المعادية لتركيا واعتبارها أمرا محسوما غير قابل للنقاش بهدف إظهار الموقف المتضامن مع الأرمن ذوي الماضي الأليم ، طالما تم تجاهل الأسى والألم الكبير الذي شهده الكثير من السكان الآخرين. ولا يجب أن ننسى أن مشاعر الرحمة تصبح مشكلة بحد ذاتها عندما تصبح انتقائية.

غالبا ما يتم تمثيل الطوائف الأرمنية التي تعيش في الدول الغربية من قبل الجمعيات القومية المنظمة تنظيما جيدا والتي تهدف إلى خلق الهوية الأرمنية ، وتركز على الاعتراف بأحداث عام ١٩١٥ من قبل المجتمع الدولي على أنها إبادة جماعية. ونتيجة لذلك ، فقد تم تعميم الرواية القومية الأرمنية على نطاق واسع في سلسلة من الحملات التي تتم بفعل العلاقات العامة الفاعلة ، حتى أنها خلقت انطبعا بوجود إجماع عام على الفرضية الأرمنية. مع العلم بأنه من التضليل القول بأن هناك « إجماع سياسي » بشأن هذه المسألة.

في الواقع، فإن برلمانات حوالي ٢٠ دولة فقط من مجموع ٢٠٠ دولة في العالم قامت بدعم الرواية التاريخية الأرمنية، ومعظمها اتخذ قرارات غير ملزمة. وهذا أمر ليس مستغرب في ظل وجود حقيقة أن تحتضن تلك الدول الجاليات الأرمنية ذات الفاعلية القوية والنشطة. بالإضافة إلى ذلك يجب أن لا ننسى وجود العديد من البرلمانيين الذين صوتوا ضد القرارات المؤيدة للأرمن.

ولا يمكن الحديث عن وجود «إجماع أكاديمي» فيما يتعلق بأحداث ١٩١٥. فبالإضافة إلى الأكاديميين الذين يدافعون عن الأطروحة الأرمنية، إلا أن هناك العديد من المؤرخين الأجانب الذين لا يدعمون فرضية ما يسمى بـ «الإبادة الجماعية». هؤلاء الأكاديميون في نفس الوقت لا ينكرون المعاناة الأرمنية، ولكنهم على قناعة بأنه لا يمكن وصف أحداث ١٩١٥ على أنها إبادة جماعية.

وفي الكثير من الأحيان ننسى بأن الإبادة الجماعية هي جريمة محددة، تم تعريفها من قبل القانون الدولي. وقد تم التعريف بماهية الإبادة الجماعية وكيفية إثباتها في اتفاقية عام ١٩٤٨. وبناء على ذلك، فإن قرار محكمة دولية مختصة فقط هو المخول بتحديد ما إذا كان الحدث إبادة جماعية أم لا. فبالرغم من صدور قرار محكمة مشابه حول المحرقة اليهودية (الهولوكوست)، وأحداث رواندا وسربرنيشا، فلا يوجد قرار لأية محكمة جزاء دولية يقر بأن أحداث ١٩١٥ هي «إبادة جماعية». إذا من هذا المنطلق، **لا يمكن الحديث عن إجماع قانوني حول هذا الموضوع.**

إعادة بناء الصداقة والتعاون التاريخية

يجب أن يعمل الأتراك والأرمن لإعادة بناء الصداقة التاريخية دون أن ينسوا الفترات الصعبة التي عاشوها في ماضيهم المشترك. ويجب أن لا ينسوا أبداً، بأنه على الرغم من أحداث الحرب العالمية الأولى، كان الأرمن والأتراك مقربين من بعضهم جداً على الصعيد الاجتماعي. لحين ابتداء الاغتيالات والحملات العامة التي قام بها الأرمن في أوائل السبعينيات. إن الشعبان لازالا حتى يومنا هذا قريبين من بعضهما البعض في مكان إقامتهم خارج أوطانهم. حتى أن الأفراد الأتراك والأرمن بموروثهم الأناضولي والعثماني المشترك، يتقاسمون الكثير من الجوانب الثقافية بما فيها اللغة. وهذا قد يكون السبب الكامن حول إصرار المتشددين الأرمن المعارضين لتركيا، على رفضهم لوجود اتصالات من أي نوع كان مع الأتراك أو تركيا. هؤلاء المتشددون الأرمن يحاولون إجهاض الموروث الثقافي المشترك والقبول المتبادل لهذه الثقافة.



إعلان الدستور العثماني في عام ١٩٠٨ بمشاركة أرمنية ورومية

يجب على جميع الأطراف أن يكونوا صادقين ومستثمرين وواسعي الأفق للتمكن من تمرير الجهود الرامية إلى التغلب على فترة تاريخية مريرة وسياسية متأزمة. أن عملية البدء بحوار حقيقي تكون ممكنة، إذا ما تم التوصل إلى معرفة كيفية احترام وجهة نظر الآخر، وأيضاً بوجود الألفة والتعاطف، وبالتالي سيتم تدريجياً بناء الاحترام المتبادل. وهذا سيؤدي إلى التقارب حول أطراف الـ «ذاكرة عادلة» للرواية التاريخية التركية الأرمنية. وإيماننا بإمكانية تحقيق ذلك، اقترحت تركيا إنشاء لجنة مشتركة تتكون من المؤرخين الأتراك و الأرمن و خبراء دوليين آخرين، لدراسة أحداث عام ١٩١٥ في أرشيف كلا من تركيا وأرمينيا والدول الثالثة ذات العلاقة. وقد يتم التوصل لإمكانية إيجاد تصور أفضل وعادل لفترة مأساوية عاشها الطرفان، وقد تساهم هذه الخطوة أيضاً في تطبيع العلاقات بين الأتراك والأرمن.



المستقبل الواعد: برنامج كرة السلة المشترك للشباب التركي-الأرمني